



هذه بعض الوقفات مع حادثة رجم داعش للمرأة التي يقولون إنها زنت، وما تبع ذلك من ردود أفعال متباعدة مؤيدة لهم أو معارضة فأقول:

أولاً: إن التشوّف إلى إقامة الحدود عامة وحد الزنا خاصة مخالف لأصول الشريعة ومقاصدها، فإن الحدود من أواخر الأحكام التي استقرت في الشريعة بعد مرورها بعدة مراحل.

فالخمر تحريمها كان على أربع مراحل، والحد عليه في آخر مراحله، والزنا من بثلاث مراحل في حده، فهذا يدل على أنه ينبغي تهيئة مجتمع الحدود قبل إقامتها، لقد سلكت الشريعة في الحدود سياسة عظيمة لا يفقها كثير من الناس، فهي تُرَأَ بالشبهات ، وهي توقف في بعض الظروف كالجماعه والحروب والفتنه، فلا قطع على الجائع ولا حد بين الصفيين، ولا تضمين على مخلفات الفتنه ولا قصاص في الهوشات، إلى غير ذلك من خصائص الحدود.

وعلى أن لأحكام الحدود خصوصية من بين الأحكام الشرعية، فلا تقبل فيه شهادة النساء ويقبل النكول فيه بعد الإقرار، وغير ذلك، فإن لحد الزنا خصوصية أكثر من غيره، فشروط ثبوته من أشد الشروط، فلا يثبت إلا بشهادة أربعة شهود رجال عدول، تتطابق شهادتهم ولا تختلف، يصفونه بصربيه لا بكتابته ، ولا شبهة له في فعله، أو بإقراره أربع مرات وهو في عقله ووعيه، مع استحباب تلقينه حجته، وقبول نكوله حتى في أثناء إقامة الحد حتى ولو كان نكوله بالهروب، فقد أنكر الرسول - صلى الله عليه وسلم - على الصحابة لما أخبروه بهروب ماعز لما أذلقته الحجارة فلحقوه حتى أدركوه وأتموا رجمه في الحرة.

قال: لو تركتموه فيتوب الله عليه مع ما فعله - صلى الله عليه وسلم - معه حين أقر بالزنا، فقد انصرف عنه أربع مرات ولم يكلمه ولا يجيبه لعله ينصرف ويتوب فيتوب الله عليه، ويستتر بستر الله عليه، فلما أصر نظر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في موانع الإقرار لعلها تمنع هذا الإقرار، فأمر أن يُستنكره فربما يكون إقراره في حالة سكر فيدفع عنه الحد، فلما لم يجد مناصاً من ثبوت إقراره على نفسه بما يوجب الحد عليه أخذه بهذا الإقرار المتكرر ليطهره بالحد حيث طلب ذلك وأصر عليه ثم لما أراد أن يرجع عن هذا الإقرار ولو بغير النص والنطق الصريح بل بالفعل وهو الهروب حين حس ألم التنفيذ، أراد أن يقبل منه ذلك النكول ويتركه لعفو الله وتوبته بينه وبين الله بهذه حقوق الله وليس حقوق الخلق، وقل مثل ذلك في المرأة التي طلبت من رسول الله أن يطهرها بإقامة حد الرجم عليها بعد أن أقرت بوقوعها في الزنا، فانصرف - صلى الله عليه وسلم - وفعل معها قريباً مما فعل مع ماعز، فقالت لأنك تريد أن تردني كما رددت ما عزاً، والله إنها زنت وإنها حبل من الزنا، فردها - صلى الله عليه وسلم - حتى تضع فلا يقام الحد عليها والجنين في بطنها، فلما وضعها أنت فردها حتى ترضعه فأنت بعد أن أتمت له الرضاعة وهي مصرة على طلب التطهير وهو - صلى الله عليه وسلم - في كل هذه المدة لا يطلبها ولا يسأل عنها ولا يجعل عليها رقابة أو يأخذ عليها كفياً بإحضارها، بل هي التي تحضر بنفسها.

وكذلك في حديث العسيف الذي زنا بأمرأة الرجل فقد ثبت في حقها الزنا وتصالحوا على ما ذكر في قصة الحديث بحضور زوجها وإقراره عليها ومع ذلك قال رسول الله: **واغدُ يا أنيس إلى امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها** ولم يجعل إقرارها السابق وإقرار زوجها واشتهر ذلك كافياً لأخذها به.

كل ذلك يدل على عدم ت Shawf الشرعية لإقامة هذه الحدود، بل تشوفها لستر الناس ودرء هذا الحد خصوصاً وغيره من الحدود عموماً بأقل الشبهات، هذا في حال إقرارهم طواعية بلا طلب ولا إكراه ثم استمراره على هذا الإقرار بلا تراجع أو نكول حتى ولو كان سبب النكول هو ألم الرجم الذي أحسه.

كل هذا في إقامة حد الزنا حين يثبت بالإقرار، أما بغير الإقرار فقد شدد الشرع فيه جداً مالما يشده في حد غيره فجعل شهود الزنا أربعة ولا يقبل أقل من هذا العدد مهما اجتمع لهم ومعهم من القرائن وجعلهم رجالاً فلا يقبل شهادة النساء في هذا الحكم، مهما كان صلاحهن وعدواً فلو قُدح في عدالتهم ردت شهادتهم مهما كثر عددهم ، ويفسونهم عن رؤية ومشاهدة وصفاً دقيقاً منضبطاً لا شبهة فيه ولا تأويل ولا يقبل فيه شهادة الشيوخ والاشتهر، ولا يقبل فيه الشهادة على الشهادة ولا يقبل فيه كتابة القاضي إلى القاضي كما يقبل في غيره من الحقوق.

كما يشترط تطابق شهادتهم مطابقة تامة لا اختلاف فيها، ويفرقهم القاضي عند الشهادة، ويكثر عليهم الأسئلة حتى يقطع بتطابق شهادتهم بلا شك، فلو تبين للقاضي تناقضهم ولو في بعضها رد شهادتهم ولم يقم الحد بها، ولا ترد شهادتهم فقط، بل هناك وعي ينتظرون إذا اختلفت شهادتهم وهو حد القذف ، ثمانون جلدة لكل واحد منهم، وتفسيقهم ورد شهادتهم، كل ذلك من حرص الشرعية على الستر على الناس وتركهم تحت ستار الله وعفوه وعدم الإسراع إلى إشهار فاحشتهم وإشاعتها ولو كانت حقيقة في ذات الأمر.

إن هذه الإجراءات والتدابير المشددة التي اتخذتها الشرعية في إثبات هذه الفاحشة على أحد من المسلمين وإقامة حدتها عليه، جعلت إقامة هذا الحد نادراً جداً في تاريخ الأمة وقرونها المتداولة، وكل من أقيم عليه حد الزنا فإنما هو عن إقرار وليس بالبينة والشهود حتى قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ولا أعلم أنه أقيم حد الزنا بالبينة والشهود، بل إنما يقام بالإقرار فهذه شهادة ابن تيمية على سبعة قرون قبله، قال الشيخ الشنقيطي ، وأنا أقول مثل ذلك فهذا التشديد في حد الزنا وفي ثبوته.

فدل ذلك على مقصد الشرعية في الستر على الناس، بل إنك لا تجد نصاً واحداً يُرْغَب في تحمل هذه الشهادة أو أدائها، بل العكس من ذلك...

فقد صح عنه رسول الله أنه قال (من ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة) ثم جعل حد القذف على من تقدم بهذه

الشهادة إذا لم تكتمل شروط قبولها، كل ذلك حتى لا تتشوف نفوس الناس لتبغ عورات الناس وتحمل تلك الشهادة التي لم يجعل الشرع في تحملها أي فضل، كيف لا وهو الذي قال (من تتبع عوره مسلم تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته فضحته ولو في جوف داره)

فهل نشك بعد هذا في وجوب الستر على الناس؟! لقد عزره الله بالجلد والتفسيق وإبطال شهادته وردها، حتى يتوب ويحسن ويقلع عن تتبع عورات المسلمين الذين هم تحت ستر الله تعالى كما بينه تعالى في سورة النور (والذين يرمون المحسنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً....)

هذا في ما يتعلق بتأصيل مسألة عدم تشفوف الشريعة لإقامة الحدود عموماً وحد الزنا خصوصاً، وما فعلته داعش يجعلنا نسأل عن عدة أمور مهمة جداً وإن خرج من يقول إن داعش نفت علاقتها بالقطع، فأقول هذا لا يغير من الأمر شيئاً وذلك لأربعة أسباب:

أولاً: أن هذه الكتابة لا تختص بداعش ولا بغيرها، بل هي تأصيل لأمر شرعي يحتاجه كل مسلم، وإنما ذكرت داعش لأن المقطع نسب لها

فلن يختلف الأمر لو نسب لغيرها، أو حتى كان من صنع المخابرات ، فكل ذلك ممكن، لكن هناك من يتشفوف لمثل هذا الفعل فوجب البيان

ثانياً: قد رأيت من مناصري داعش من أسفهل لهذا الفعل وطلب وأراد شرعاً، لو لا عجزه وجهله، فأردت أن أبين لهم أن فرجهم بذلك نتيجة لجهلهم بالشرع.

ثالثاً: لا يمنع أن يخرج لنا في مستقبل الأيام من داعش أو من غيرهم من يفعل مثل هذا الفعل، فوجب البيان المسبق حتى لا يغتر أحد بهذا الفعل

رابعاً: رأيت بعض الكتاب الفجرة، استغل ذلك وجعله مطعناً على الحد الشرعي، فأردت التأصيل لهذا الحكم قبل الرد على زيفهم وردهم لحكم الله.

وهذه بعض الأسئلة لمن أخرج هذا المقطع (داعش أو غيرهم)
أولاً: أي صفة شرعية خولتكم بإقامة الحدود عموماً وهذا الحد الذي هو حق لله خصوصاً؟

فإن كانوا من داعش، فهذا من لوازم الباطل الذي التزموا وهي بيعتهم المزعومة وخلافتهم الموهومة، وإن كان لغيرهم فهم أبعد، من امتلاك صفة شرعية لفعلهم.

ثانياً: أين ذكركم للخطوات الشرعية التي طبقتموها قبل تنفيذ هذا الحد، خصوصاً وقد كثر فيكم الجهل بأحكام العبادات عفواً عن أحكام الحدود ولوازمها؟.

فالناس لا تثق بمثل هذه المقاطع، مالم يكن معها تغطية شرعية علمية مقاصدية تحقق بها الحد الأدنى من الحكم الشرعي، أما مجرد الرجم فلا يعجز أحداً، خصوصاً وقد جرب الناس حماقات كثيرة من داعش ومن غيرها، في تطبيق أحكام هي أيسراً تصوراً وحكماً، مثل أحكام الردة عند داعش والقتل عليها ميدانياً، ومثل سب دين الكهرباء عند النصرة، إلى غير ذلك من مجازفات بعض الشباب. فأما توثيق تنفيذ الحكم فهو عليكم لا لكم، مع ستركم ما حقه الإظهار.

ثالثاً: ما التكيف الشرعي لتصوير إقامة هذا الحد مع حساسيته، وتصوير المرأة مع تحريم ذلك، والتعدى على حقها وحق أهلها وقربتها وتصوير أبيها؟

فهذا التصوير أذية للحي والميت بلا موجب شرعي ولا عقلي، فإن استدلوا على ذلك بقوله تعالى (وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين) فأقول: ليس هذا الاستدلال بغرير على من فعل هذه الفعلة من داعش أو من غيرها، فهذا والله من العبث بأدلة

الشريعة، ففي الآية الأمر بأن يشهد طائفة من المؤمنين، ولم يقل يشهد العالم بأسره كبيرهم وصغيرهم ذكرهم وأنثاهم مسلّمهم وكافرهم برهم وفاجرهم، فأين هذا في هذه الآية أو في غيرها؟!
إن الله لم يهدى كل حق للمحدود، فقد منع حتى من شتمه ولعنه، فكيف بفضحه على رؤوس الأشهاد، أليس له حق وحرمة وكرامة؟، فبأي حق أهدرتموها واستغلتموها، ولك أن تتصور ما ينتجه هذا المقطع من أثر على أمها وأخواتها وذريتها إن كان لها وهم يرون هذا المقطع بين الناس، يتناقلونه ويتحدثون به بينهم؟!
الحقيقة أنهم لم يرجموا هذه المرأة فقط، بل رجموا أسرتها وقرباتها برمتهن، ورجموا بفعلهم هذا الإسلام وأهله مع من رجمه، حتى يستثمروا به على حسابه.

لقد تعلق بهذا المقطع وفرح به مجموعة من ضعفاء العقول والعلم والبصيرة، وشعروا فيه بعزة جوفاء، بسبب عللهم النفسية واحتلالاتهم العقلية.

إن هذا الفعل محظوظ و مجرّم حتى ولو كان من فعله يتمتع بكمال صلاحياته الشرعية، فكيف وهم لا يملكون أي صلاحية شرعية ولا ولاية ولا شبه ولاية؟!

كيف يقام هذا الحد بهذه الطريقة الفجة، وبلا أي سند شرعي، ويصور وينشر في وقت جند فيه الغرب الصليبي كل مجند في أرضه وسماه للتجنيش على الإسلام وعلى المسلمين، وعلى أحكام الشريعة، لتشويه صورته وصد الناس عن هذا الدين، ومما جند في هذه الحرب الإعلام الصهيوني والمتصهين بحرب لا هوادة فيها، فما وجد ولن يجد آلة لهذا الهدف الخبيث، مثل هذه المقاطع والحملات التي أنتجتها العقول السقيمة، والأحلام السفهية، فقد طاروا بها كل مطار.

لقد استغلت الحملة الصليبية مثل هذه المقاطع لاقتحاع كل نسبة تعاطف في شرق الأرض وغربها حتى من بعض المسلمين، مع هذه الشعوب المكلومة الجريحة، ولقد صورت الآلة الإعلامية الصليبية بالأصالة والوكالة، الضحية جلاداً والمقتول قاتلاً والمظلوم ظالماً، ثم بشروا رعياهم بأن حربهم على هذه النوعيات التي لا تؤمن ب الإنسانية ولا حرية ولا عدالة، فأين ستجد تعاطفاً مع قضايا المستضعفين بعد ذلك؟!، فإن خرج من يقول: هذا خطاب المنهزمين المتخاذلين، ولسنا بحاجة تعاطف من أحد ، فقد أعزنا بالإسلام والجهاد، ولا يشعر بالضعف إلا ضعيف، فأقول له: ربما تكون صادقاً في شعورك وعزتك بعملك. لكن هذا لا يخولك أن تتكلم باسم ملايين الضعفاء والنساء والشريدين والمساكين الذين أنهكتهم الحروب الظالمة وينتظرون المدد من أي اتجاه. فكيف تفتاتون عليهم وعلى مصيرهم وجوعهم وضعفهم، و تستعدون عليهم العالمين، بأي عقل ألم بأي شرع تسوغون لأنفسكم ذلك، ثم أن هذا مخالف كذلك للشرع.

فهذا رسول الله إمام التوكل والشجاعة، يريد أن يقدم ثلث ثمار المدينة، لبعض قادة جيش الأحزاب، لا ليقاتلوا معه، بل من أجل تحبيدهم فقط.

فلك أن تتصور هذا الفعل من بعض القادة اليوم، كيف ستكون ردة فعل تلك العقول المتشنجـة؟! إن طلب تحبيـد العدو أو كسب تعاطـفه مطلب شـرعي بلا شك، فهذا رسول الله بعد هزيمة أحد، يستقبل حليفـه خـزانـة وـهم على شـركـهم، فيـعـزـونـه ويـوـاسـونـه، ويـتـعـاطـفـونـ معـهـ، ويـعـرـضـونـ خـدمـتـهـ، فيـطـلـبـ منـهـ تخـذـيلـ العـدوـ إـلـىـ غيرـ ذـلـكـ منـ النـصـوصـ التـيـ تـسـاعـدـكـ فيـ تـصـورـ سـيـاسـتـهـ - صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ -، بلاـ عـنـتـرـياتـ لـاـ رـصـيدـ لـهـ إـلـاـ الجـهـلـ وـالـعـجـلـةـ، إـنـ كـانـ صـادـقـةـ الـنـيـةـ.

فإن قال بعضـهمـ: وهـلـ أـوـقـنـاـ فـيـ هـذـهـ الـأـخـطـاءـ وـالـطـوـامـ إـلـاـ تـخـازـلـ طـلـبـةـ الـعـلـمـ عـنـ التـواـجـدـ فـيـ هـذـهـ التـغـورـ وـتـرـكـهاـ لـشـبـابـ صـدـقـ فيـ الـنـيـةـ وـإـنـ أـخـطـأـ فـيـ الـعـمـلـ.
 فأقول:

أولاً: لا ننكر قصور وتقسيـرـ أـكـثـرـ طـلـبـةـ الـعـلـمـ وـالـعـلـمـاءـ فـيـ النـفـيرـ إـلـىـ الـجـهـادـ وـإـنـ كـانـ بـعـضـهـمـ لـهـ عـذـرـ وـحـجـةـ تعـذرـهـ فـيـ ذـلـكـ

ثانياً: قد رأينا من طلبة العلم من نفر للجهاد، فكان على قائمة المطلوبين لداعش، فهل هذا من فرجهم بطلبة العلم!!؟ فلن يكون وضع غيره أحسن حالاً.

ثالثاً: وهذا أهتمها، أنكم ألمتم أنفسكم بمالم يلزمكم الله به، فمن أوجب عليكم إقامة الحدود، فإن الحدود فرع للولاية، فمن لا ولية له لا يحق له إقامة الحدود، فلو جعلتم همكم الشرعية في دعوة الناس ونصحهم وتوعيتهم بمهمات الدين والأحكام، لما احتجتم لهذه الأعداد من طلبة العلم، التي تطالبون بها، إن العجلة في نصب المحاكم وإقامة الحدود، وبالأخص التي هي حق لله، ليس له مسوغ شرعي ولا عقلي، لأنها فرع الولاية العامة، ولستم مطالبون شرعاً بإقامة الحدود في المناطق المحررة عفواً عن غيرها ، فإن ولایاتكم ولایة حرب وليسوا ولایة عامة، فدعوا هذه المحاكمات وتخففو، وإنما الذي يجب فعله في المناطق المحررة، دعوة الناس وتوعيتهم، ورد المظالم ودفع عارية الناس بعضهم على بعض، والسعى بالصلح بين المتنازعين، ولا تحمّلوا الشريعة هذه المجازفات والتجاوزات فتصدوا الناس عن دين الله شعرتم بذلك ألم لم تشعروا، وهذا سيخفف عليكم كثيراً من احتياجاتكم.

وقد استغل بعض الكتاب والمارقين، ما يحصل في تلك المحاكم من أخطاء، فشنع بها على الشريعة والأحكام، حتى شكوا الناس في بينهم ومسلمات شريعتهم. ولا يخفىكم ما طارت به تلك الأقلام الخبيثة حين وقعوا على هذا المقطع للرجم، فأخرجوا خبئاً كانوا يكتبوه من سنوات، ولم يجدوا أفضل لهم من هذه، الفرصة، ليستغلو هذا الزخم الإعلامي لهذا المقطع، فضربوا في صميم الشريعة وأحكامها، من تحت هذه الذريعة، فأنكروا حد الرجم جملة وتفصيلاً، وضعفوا أكثر من عشرة أحاديث في الصحيحين وأكثر من ذلك في غير الصحيحين، واتهموا العلماء بتلقيق هذا الحد وتبديلهم لدين الله وإدخالهم ماليص منه.

وقد كثر من كتب في ذلك من تلك الأقلام المأفوقة، وهذا الكاتب قد جمع خلاصة الشر كله، فأثرت أن يكون هو موضع النقاش والرد، وغيره مثله فيكتفينا هذا، وقد طار بنوا علمان بهذا الخبر وهذا الطعن في شرع الله وفي حملته من العلماء والأئمة، فوجب البيان لما فيه من كذب وزور.

فانظر هذا الكلام على اختصاره كم فيه من الكذب والزور والتلبيس والجهل، وسيكون النقاش على ما فيه مسألة مسألة حتى لا ندع من بنائه حبراً.

أولاً: قوله إن الرجم من المصائب الفقهية.

فأقول نعم هو -والله- من أكبر المصائب عليك وعلى أمثالك من تشرب هزيمة النفس وأولع بمحاكاة الغرب، ومن خذلان الله لهذا الكاتب أنه قدم هذه النتيجة الخبيثة، قبل أن يبرهن عليها، لأنه لا يملك عليه إلا الكذب والجحود، فعجل بكشف عواره وجهله.

ثانياً: قوله إن هذا الحد أبلغ مثلاً على التخلي عن محكمات القرآن، بالآثار المضطربة، فأقول له: أين آية واحدة في كتاب الله ترد الرجم أو تبطله.

وهذا يلزمك أن تبين موقفك من السنة، حتى يعلم الناس قدر سنة رسول الله عندك، وإذا كان ١٣ حديثاً في الصحيحين مضرية في عقلك فأين المحكم منها؟

ثالثاً: إن كان صادقاً في اتباعه محكمات القرآن، فهل، ٤ آية في كتاب الله تأمر بمتابعة رسول الله وأخذ سنته، هل هي عنده من المحكم، أم لا؟ (وأنزلنا إليك الذكر لتبيّن للناس ما نزل إليهم) أين هذا البيان في غير السنة، وهل بيان الشنقيطي لكتاب الله مقدم على فهم رسول الله وبيانه؟

لقد أمر الله نبيه أن يبيّن القرآن للناس ، فلو كان لا يحتاج إلى بيان ل كانت السنة لغواً فقد ببنه رسول الله بقوله وفعله

وتشريعه، بل حتى سكوته، فيمكن أن يخرج من يقول: لقد أمر الله بالزكاة مطلقة، فمن أخرج أي قدر فقد أخرج الواجب، وهذا من محكمات القرآن فلا نتركه لروايات الآحاد المضربة.

فيتمكن أن يخرج من يقول: لقد أمر الله بالزكاة مطلقة، فمن أخرج أي قدر فقد أخرج الواجب، وهذا من محكمات القرآن فلا نتركه لروايات الآحاد المضربة، وهذا يجعل الشريعة رماداً في مهب الريح العاتية، هل (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) من محكمات القرآن أم أن هواك يمنعك من هذا!

هل قوله (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) من محكمات القرآن أم أنه هواك يمنعك من ذلك؟! أم أن حكم السنة عندك ما وافق القرآن فقط؟

فإن قلت نعم محكمها هو ما وافق القرآن فقط، فأقول لك: فما فرق رسول الله في هذا عن غيره؟! فمن جاء بقول يوافق القرآن فهل ستملك رده؟!

عند ذلك تكون سويت بين رسول الله وآحاد الناس، وكفاك بهذا ضلالاً، وهذه قيمة رسول الله عندك وعند أمثالك، ولا فضل لكلام رسول الله على غيره.

صياد الفوائد

المصادر: